transcription of Jabir b. Hayan's treatise on letters manuscript (date: 579 AH)

اعلم، أيها الطالب الباحث عن أسرار الحروف، المتطلع إلى كنوز النطق والكلام، أن الحروف ليست مجرد أصوات تخرجها الألسنة ولا أشكالاً ترسمها الأقلام، بل هي رموز للقوى الكونية، ومفاتيح لأسرار الخليقة، بها تنكشف الأستار عن الغيب المستور، وتُفهم الإشارات المودعة في باطن الوجود. ولقد علم الحكماء أن الحرف هو أصل البيان، وهو الحد الفاصل بين السكوت والكلام، فهو كالنور الذي يفصل بين الظلمة والضياء، إذ به يعبَّر عن المعاني، وتُنقل العلوم، ويُبث ما أودع الله في العقول من حكم وأسرار.

أما الحرف في حقيقته، فهو حدٌّ قائم بين الصوت والصمت، فهو جزء لا يتجزأ من الكلمة، والكلمة بناء مؤلف من الحروف كما أن الجسد مركب من العناصر، ولولا الحرف لما كان للسان سلطان على البيان، فهو أول مراتب الكلام، وأصغر لبنة في صرح اللغة، لكنه مع صغره ذو شأن عظيم، إذ به يتشكل اللفظ، وبه تتحدد الصفات، وبه تنكشف معاني الكلمات في الأذهان كما تنكشف الصور في المرايا. فالحرف، من جهة صناعته، ينبعث من مخرج مخصوص، وله هيئة وصوت، وصفات تميزه عن غيره، فمنه الشديد ومنه الرخو، ومنه المهموس والمجهور، ومنه المطبق والمنفتح، وكأنها قوى متضادة اجتمعت في نظام متكامل كالتوازن القائم بين العناصر الأربعة في تكوين الأجساد.

وأما الكلمة، فهي اجتماع الحروف في نسق معلوم، يربطها ميزان الخفة والثقل، والتناسق والاضطراب، فكأنها مركب كيماوي لا يظهر أثره إلا بعد اجتماع أجزائه على مقدار معلوم. والكلمة كالجسد الحي، لها روح تحييها وهي المعنى، ولها جسد يقوم بهيئتها وهو الحرف، وإذا غاب عنها روحها صارت جسداً بلا حياة، وإذا انحرف تركيبها عن الميزان، ضاعت دلالتها وفسد معناها، كما تفسد المادة إذا اختل تركيب عناصرها.

أما النطق، فهو فعل النفس المفكرة حين تُخرج ما استقر في العقل إلى عالم السماع، وهو المعبر عن إدراك الإنسان ووعيه، وبه امتاز الإنسان عن سائر الحيوان، إذ جعل الله له لساناً يُبين به، وحروفاً يركبها في معانٍ لا تحصى. والنطق على مراتب، فهناك نطق ظاهر وهو الكلام المسموع، ونطق خفي وهو خطاب النفس لذاتها، ونطق أعمق لا يُدركه إلا أهل الحكمة، وهو تجلي المعاني في قوالب الأصوات قبل أن تقيدها الحروف. وقد قال القدماء: "النطق ميزان العقل، فمن فسد منطقه، دل على فساد فكره"، لأن النطق هو مرآة العقل، يعكس ما فيه من معرفة أو جهل، ويدل على ما في النفس من حكمة أو اضطراب.

فيا أيها الطالب، اعلم أن لكل حرف سرًّا، ولكل كلمة روحًا، ولكل نطق أثراً، فلا تهمل البحث في دقائقها، ولا تظنن أن الكلام مجرد أصوات تتبعها الأصوات، بل هو صورة من صور الوجود، ونظام محكم يشهد على عظمة الخالق وحكمته في ترتيب الأشياء. فإذا فهمت هذه الأصول، وتدبرت أسرارها، علمت أن اللغة ليست من صنع البشر، بل هي من سنن الله في خلقه، وأيقنت أن من أدرك حدود الحرف والكلمة والنطق، فقد خطا أولى خطواته نحو فهم أسرار البيان وحكمة اللسان.

وأن للحرف مخرجين: أحدهما ظاهر تدركه الأذن وتحيط به الألسنة، والآخر باطن لا تدركه الحواس إلا بعد تصفية النفس وتهذيب الفهم. فكما أن لكل حرف مخرجًا من مواضع النطق، من الحلق أو اللسان أو الشفتين، فكذلك له مخرج في عالم الأرواح، حيث لا تُسمع الأصوات، ولكن تُدرك الهيئات وتُبصر المعاني بعيون البصيرة.

فأما المخرج الظاهر، فهو الذي عرفه علماء اللغة وقيدوه في مدوناتهم، فجعلوا للحروف مواضع محددة في الجسد، وفرقوا بين الشديد منها والرخو، والمجهور والمهموس، والمطبق والمنفتح. وهذا مما يحتاجه أهل البيان والخطابة، وهو مفتاحٌ لمن أراد فصاحة اللسان وقوة البيان. ولكن من اقتصر على هذا الفهم، فقد قنع بالقشور وترك اللباب، إذ إن الحرف ليس مجرد صورة في الهواء، بل هو أثرٌ من آثار القوى الكونية، يتردد صداه في العوالم غير المنظورة، ويؤثر في النفوس والطبائع كما تؤثر النغمة الموسيقية في المشاعر.

وأما المخرج الروحاني، فهو الذي لا يُدرك إلا بالتأمل العميق والتجربة الصادقة، إذ إن الحروف ليست اعتباطية، بل لها نسبٌ إلى الكواكب والعناصر والطبائع والوجوه العلوية والسفلية. وقد علم أهل الصنعة أن لكل حرف تردداً خاصاً، يهتز معه في مجاله الخفي، ويرتبط بما يقابله في الكون من مخلوقات وأجساد وأرواح. فالألف، على استقامتها، رمزٌ للواحدية والتجرد، ولذا كان أول الحروف وأساس الكلمات، ومنه تفيض بقية الحروف كما يفيض النور من مصدره الأول. والباء، بانحنائها، تدل على الاحتواء والاستقبال، ولذا قيل إنها رمزٌ للحكمة المكنونة في الألف حين تنحني لاستقبال المعاني.

واعلم، أيها السالك، أن التناسخ بين الحروف والموجودات أمرٌ دقيقٌ لا يفهمه إلا من رزق بصيرة نافذة. فقد قال القدماء إن لكل عنصر في الطبيعة ما يوافقه من الحروف، وإن لكل نبات ولكل معدن ولكل كوكب ولكل روح ما يقابله من الأصوات، بحيث إذا نُطق الحرف على وجهه الصحيح، كان له تأثيرٌ في تلك الموجودات. ولذلك كانت الأسماء عظيمة الخطر، لأنها ليست مجرد ألفاظ تُقال، بل هي قوالب لأسرار الكينونة، فإذا سُمي الشيء باسمه الأعظم، انكشفت خفاياه وظهرت حقيقته.

وقد رأى بعض أهل الحكمة أن الحروف النارية كالصاد والطاء والقاف تحمل من صفات القوة والحدّة، ولذا ارتبطت بالحركات العنيفة والعزائم القاطعة، بينما الحروف الهوائية كالفاء والواو والسين تحمل من صفات اللطافة والخفة، ولذا ارتبطت بالمعاني السريعة الزوال والأفكار المتجددة. وأما الحروف المائية كالميم والنون واللام، فتمتاز بالانسياب والتغلغل، ولذا كانت دالة على الاتصال والانسكاب والتداخل. وأما الحروف الترابية كالباء والتاء والدال، فتمتاز بالثبات والاستقرار، ولذا كانت دالة على الأصول والحدود والضوابط.

فيا أيها الطالب، اعلم أن الحروف ليست رسوماً تُكتب ولا أصواتاً تُنطق وحسب، بل هي قوانين وأسرار، بها تقوم الموجودات، وعليها يجري القضاء، ومن أدرك معانيها الباطنة، فقد أمسك بطرفٍ من سر الخليقة، ومن غفل عنها، بقي محجوبًا وراء ظواهر الأشياء لا يدري ما وراءها من عجائب وأسرار.

اعلم، أيها الساعي في طلب الحكمة، والمتأمل في أسرار الحروف ومخارجها، أن لكل حرف موضعًا من الجسد يخرج منه، كما أن له موضعًا في الوجود يشير إليه، وكما أن الإنسان جسد وروح، فإن للحروف أيضًا ظهورًا جسمانيًا تنطلق منه، وتجليًا روحانيًا يُدرك بالبصيرة لا بالبصر، وقد أودعها الخالق أسرارًا لا تنكشف إلا لمن أخلص في الطلب وأطال النظر في بواطن الأشياء. فاستمع، أيها المريد، لما أقول لك عن كل حرف من هذه الأحرف العجيبة، تفصيلاً لما خفي، وبيانًا لما استتر.

اعلم أن الهمزة هي أول الأصوات وأشدها، وهي كما يخرج أول النفس عند الولادة، فكذلك خروجها من أقصى الحلق، كأنها الجذر الأول للصوت، وهي انقطاع مفاجئ بين العدم والوجود، تأتي فجأة بلا تمهيد، كوميض البرق في ليلة ظلماء. ولأنها تخرج من أقصى الحلق، فقد شُبِّهت بأصل الأشياء وببداية الخليقة، وكما أن للوجود صدمة أولى، فإن في النطق بالهمزة صدمة للهواء، كأنها خفقة قلب الكون عند نشأته.

الباء حرف يخرج من بين الشفتين، حيث يلتقي الجسد بالجسد، فيولد الصوت كولادة المعنى من اللفظ. وهو حرف شديد مجهور، كأنما يجمع قواه ليطرق باب الوجود بقوة. ولأنه حرف شديد، فإنه يشبه الأرض في ثباتها، فالباء رمز للاستقرار والتجسد، وبه تبدأ الكلمات التي تدل على الانطلاق والثبوت معًا، كبداية البركات وبزوغ البشائر. وإذا تدبرت، أيها المتأمل، وجدت أن "بسم"، التي بها تُفتتح الأمور الجليلة، تبتدئ بهذا الحرف، كأنه بوابة العبور بين العدم والكينونة.

أما التاء، فإنها تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وهي مهموسة، لطيفة كحفيف الأوراق في ريح لينة. وهي حرف النسيم والانتقال، فهي تأتي في الكلمات التي تدل على التغيير والتجدد، ولأنها ضعيفة في طبيعتها، فإنها لا تثبت إلا بمجاورة غيرها، كقطرة ماء لا تلبث أن تتبخر أو تمتزج بسواها.

اعلم أن الجيم تخرج من وسط اللسان، وهي حرف بين الشدة والرخاوة، كأنها صدى صوت في كهف مظلم، لا هي ساكنة ولا هي منفلتة، بل تتردد بين الحالتين. ولهذا، فهي حرف السر والغموض، تأتي في الكلمات التي تدل على الخفاء والظهور، كالجن والجوهر والجبل، وكأنها تشير إلى الأشياء التي تتراءى ولا تُدرك تمامًا. وفي نطقها جريان خفي، يذكّر بتيار المعرفة الذي يسري في الأعماق.

وأما الدال، فإنها تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وهي مجهور شديد، كصوت سقوط حجر على أرض صلبة. وهي تدل على القرار والحسم، إذ بها تأتي الكلمات الدالة على الثبوت، كالدين والدليل والدوام. وهي تشبه النقطة في ختام الجملة، فاصلة بين ما مضى وما سيأتي، وكأنها حجر الزاوية في بناء اللغة.

الراء، أيها الطالب، من أعجب الحروف، فهي متحركة بطبعها، تخرج من طرف اللسان مرتعشة، لا تستقر إلا في كلمات لها قوة وانسياب، كالريح والرعد والرحمة. وهي في صوتها تجسيد لحركة الدوام، إذ لا تكاد تنطقها حتى تجدها ترتج في الهواء، معلنة عن طبيعة الوجود المتغيرة التي لا تعرف السكون.

وأما الصاد، فهي صوت الطبيعة حين تعبر عن ثباتها، تخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، مطبقة كأنها باب مغلق على سر عظيم. وهي حرف القوة المكنونة، بها يُنطق الصبر والصدق والصراط، وكأنها مفتاح الأبواب المغلقة التي لا تفتح إلا لمن ثبت في طريقه وصمد أمام المحن.

اعلم يا طالب العلم وأيها الناظر في أسرار الحروف وأصولها، أن حرف الضاد من أعجب الحروف وأشدها غموضاً وأكثرها خفاء في مخرجه وصفته. فإن الضاد تخرج من أقصى اللسان مما يلي الحنك الأعلى، وهي حرف مطبق ذو شدة ورخاوة خفيفة، تجمع بين القوة واللين كالجبل الراسخ الذي يعلوه نسيم رقيق. وقد قال الأوائل: إن الضاد ليست كسائر الحروف، بل هي حرف العرب خاصة، وقد فخمها أهل الجاهلية من قبيلة جرهم، فكانوا يطيلونها ويشددونها، حتى كأنها تخرج من أعماق الفم، كصوت الرعد البعيد أو هدير الأمواج في البحر العميق. وإنك لتعلم أن لكل حرف سراً من أسرار الطبيعة، وكل صوت دليلاً على قوة الخالق وحكمته. فالضاد، بحكم مخرجها وصفاتها، تدل على التوازن بين القوة والرحمة، بين الشدة والرخاوة. وقد رأيت في كتب القدماء أن الضاد كانت تنطق في جرهم بغير ما تنطق في سائر القبائل، فكانوا يخرجونها من أقصى اللسان مع إطباق شديد ثم يتبعونها برخاوة خفيفة، كأنها تموج في الهواء، فتصير كالصوت الذي يخرج من بين الصخور في الوادي العميق.

وأقول لك إن الضاد ليست مجرد حرف بل هي رمز للقوة والثبات، ولذلك كانت تنطق في جرهم بهذا الشكل، لأنهم كانوا أهل قوة وثبات في الأرض. وقد رأيت في تجاربي أن الضاد إذا أخرجت من مخرجها الصحيح، فإنها تحدث رنيناً في الأذن، كأنها تذكر السامع بأصالة اللغة وقوة البيان فاحرص على إتقانها، واعلم أن من أتقن الضاد فقد أتقن جزءاً عظيماً من أسرار اللغة.

اعلم، أيها المريد الساعي إلى كشف أسرار الحروف، أن الطاء تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وهي حرف مطبق شديد مجهور، كأنها قعقعة السيوف في ميدان القتال، أو ارتطام الصخور بعضها ببعض. وهي في صوتها تعبير عن القوة الصامتة التي تسبق الانفجار، إذ تنطلق قوية محكمة، لا تعرف الهمس ولا التردد، بل تحمل في طياتها معنى التمكين والغلبة.

وليس عجبًا أن الطاء تأتي في الكلمات الدالة على الرسوخ والثبات، كـ "طود" أي الجبل، و"طريق" أي السبيل الذي لا يتغير. وهي، في البعد الباطني، إشارة إلى الأسرار التي لا تُفصح عن نفسها إلا لمن كان له قلب صلب كالصخر، وصبر على طرق أبواب الحكمة حتى يُفتح له ما استغلق على غيره.

وأما الظاء، فإنها تخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، وهي حرف مجهور مطبق، فيه قوة لكنها ليست قاسية كالطاء، بل فيها امتداد ورخاوة خفيفة، كأنها صوت الرياح التي تهب على السهول فتجري فوقها دون أن تكسرها. ولذلك، فإن الظاء تأتي في الكلمات التي تدل على العلو والظهور، كـ "ظفر" و"ظهور" و"ظل".

وللظاء سر خاص، فإنها حرف يمتزج فيه الوضوح بالغموض، فهي ليست كالطاء في شدتها، ولا كالزاي في انسيابها، بل تجمع بينهما، كأنها همس بين الصمت والكلام. وفي ذلك إشارة إلى أن بعض المعارف تُدرك بين النطق والصمت، بين الجهر والخفاء، فلا تظهر إلا لمن تأمل بين السطور ولم يكتفِ بالظاهر وحده.

وأما العين، فهي تخرج من وسط الحلق، وهي حرف مجهور يجري فيه الصوت، كأنها ينبوع ماء يتدفق من الأعماق. ولأن العين ترتبط بالرؤية، فقد جُعلت رمزًا للعلم والإدراك، فكما أن العين الجسدية ترى الظواهر، فإن حرف العين يرمز إلى عين البصيرة التي ترى الحقائق.

وقد أدرك أهل الباطن أن في حرف العين سرًا عظيمًا، فهو أول حرف في "عالم"، وفي "عرفان"، وكأنما يدل على الوعي بالكون وبأسراره، فلا عجب أن يكون مخرجه من الحلق، حيث يخرج النفس ويجري، كأنه روح تسبح في الهواء.

الغين، أيها السالك، تخرج من أقصى الحلق، وهي حرف مجهور رخْو، كأنها غيمة تسبح في الأفق، فيها ثقل لكنها متحركة، كما أن الغين تشير إلى الغموض، وإلى الأشياء التي تخفى عن العين المجردة، ولذا جاءت في "الغيب" و"الغموض" و"الغيم".

وفي صوتها خفوت يشبه النداء من بعيد، كأنها صوت الآفاق المجهولة التي تنادي السائرين، فمن فهم الغين فقد بدأ طريقه نحو كشف المستور.

وأما الفاء، فإنها تخرج من بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا، وهي مهموسة رخوة، كأنها نَفَس رقيق يتسرب في الهواء، ولذلك نجدها في الكلمات الدالة على الخفة والانسياب، كـ "فرح" و"فيض" و"فرج".

وللفاء دلالة على التفريغ والتخلص، فهي الحرف الذي يشير إلى التحرر من الثقل، كما يتدفق الماء حين يُزال عنه الحاجز. وفي ذلك رمز إلى أن بعض الحقائق لا تُدرك إلا لمن تخفف من قيوده، وأطلق فكره وروحه في أفق التأمل.

القاف، أيها الطالب، تخرج من أقصى اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى، وهي حرف شديد مجهور، كأنها ضربة المطرقة على الحجر، أو قعقعة الرعد في السماء. وهي حرف القرار والسلطان، ولذلك جاءت في "قوة" و"قرار" و"قضاء".

وللقاف مكانة خاصة عند أهل الأسرار، إذ رأوا فيها رمزًا للقدرة الكامنة في الإنسان، وللصوت الذي لا ينكسر مهما علا. وهي تشير إلى الإرادة التي تفرض وجودها في الكون، فلا تتبدد في الهواء كالهَمْس، بل تثبت كالصخر.

وأما الكاف، فهي تخرج من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وهي حرف مهموس شديد، فيها شيء من اللين، ولذلك تراها في الكلمات التي تدل على التشبيه والتجسد، كـ "كأن" و"كوكب" و"كن".

وفي الكاف إشارة إلى القدرة على التخيل والتصور، فهي الحرف الذي يُحاكي الواقع لكنه لا يكونه، كما أن الإنسان يتخيل قبل أن يُبدع، ويرسم في ذهنه قبل أن يصنع. ولهذا، فإن الكاف تُذكّرنا بأن الكلمة تبدأ من الفكرة، وأن كل خلق مسبوق بتصور في العقل.

الميم، أيها الناظر، تخرج من بين الشفتين، وهي حرف مجهور يجري فيه الصوت، كأنها موجة تمتد بلا انقطاع، ولذا كانت رمزًا للربط بين الأشياء، فتراها في "مع" و"مودة" و"ممر".

وللميم سرّها في كونها تمثل الاندماج والتداخل، إذ لا يمكن النطق بها دون أن تتحد الشفتان، وكأنها تشير إلى أن بعض الحقائق لا تُدرك إلا بالوحدة والاقتران.

وأما النون، فهي تخرج من طرف اللسان مع ما فوقه من اللثة، وهي حرف مجهور، فيها غُنّة كأنها نغمة خفيفة تمتد في الأفق. ولذلك تراها في الكلمات التي تدل على الاستمرار والانتشار، كـ "نور" و"نهر" و"نفس".

والنون عند أهل الباطن هي الحرف الذي يرمز إلى الامتداد بين الدنيا والآخرة، فهي تشبه الجسر بين العوالم، والنور الذي يتسلل في الظلمة ليكشف الطريق.

الهاء، أيها الطالب، تخرج من أقصى الحلق، وهي مهموسة رقيقة، كأنها نفس يتردد بين الوجود والعدم. ولذلك، فإنها رمز للروح، إذ بها يكون "هواء" و"هدوء" و"هو"، كأنها صوت الحياة الذي لا يُدرك إلا حين يغيب.

وفي الهاء تذكير بأن بعض الأسرار لا تُقال، بل تُتنفس، فلا تُدركها الأذن بقدر ما يشعر بها القلب.

اعلم، أيها السالك في دروب الحكمة، أن الواو تخرج من بين الشفتين، وهي حرف مجهور يجري فيه الصوت، كأنها موجة تتهادى على صفحة الماء، أو رياح تسري بين الجبال دون أن تعترضها الحواجز. والواو، بحكم طبيعتها الصوتية، تمثل الامتداد والتواصل، فهي حرف الربط بين الأسماء والمعاني، وكأنها جسر ممتد بين الأشياء المتفرقة.

ومن تأمل في أسماء الحروف وجد أن الواو تحتضن معاني العمق والانسياب، فقد جاءت في "وجود" و"وحي" و"وعد"، وكلها كلمات تشير إلى حقائق غير منقطعة، فهي ترمز إلى الاستمرار والديمومة، كأنها تمثل الصلة بين العلوي والسفلي، بين السر والظاهر.

ولم يكن عجيبًا أن ترتبط الواو بمقامات العارفين، إذ رأى بعضهم فيها صورة للمدد الإلهي الذي يتدفق بلا انقطاع، فإنها تتوسط الحروف كأنها حلقة وصل، تجمع ولا تفرق، تصل ولا تقطع، وتُخبر بأن الكون مبني على الترابط والتداخل، لا على العزلة والانفصال.

أما الياء، أيها الناظر في أسرار الأصوات، فتخرج من وسط اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى، وهي حرف مجهور لين، يمتد كخيط من النور ينساب بلا مقاومة. والياء في طبيعتها تمثل الليونة والمرونة، إذ لا تنحبس في المخرج، بل تمتد برفق، كأنها ماء ينساب بين الصخور دون أن ينكسر.

ولذلك، فإن الياء رمز للانسياب الروحي، فهي تذكّرنا بأن المعرفة لا تأتي بالعنف والقوة، بل بالتدرج والتلطف. ولذا تراها في "يقين" و"يسر" و"يد"، فكلها تشير إلى أمور تصل إلى غاياتها دون صدام، كما أن اليد تمتد فتأخذ وتعطي، وكأنها مفتاح للتفاعل بين الإنسان والوجود.

وقد أدرك أهل الأسرار أن في الياء إشارة إلى جوهر النفس، فهي آخر الحروف في الترتيب الأبجدي، وكأنها تمثل النهاية التي تعود إلى البداية، إذ لا ينتهي العلم عند حد، بل يستمر في دورة لا متناهية، كما أن النفس في ارتحال دائم بين الدرجات والمقامات.

وأما الهمزة، فإنها حرف ليس كغيره، فهي تخرج من أقصى الحلق، كأنها شرارة تنطلق من عمق الوجود لتحدث صوتًا قويًا مفاجئًا، فهي الانفجار الأول الذي يسبق كل خلق، والبداية التي منها تنبثق الكلمات والمعاني. ولذا، فإن الهمزة في طبيعتها تحمل معنى البداية والقطع، إذ لا يُمكن نطقها إلا بحزم، وكأنها صوت الإرادة الأولى التي شاءت فكان الكون.

وقد رأى أهل الحكمة أن الهمزة هي رمز للأصل، لأنها أول الحروف نطقًا، كما أن الألف التي هي أساس الكتابة تبدأ بها. فمن فهم سرّ الهمزة أدرك أن كل صوت في الوجود ما هو إلا صدى لصرخة البداية، وأن كل نطق هو امتداد لأول كلمة نُطقت في الخليقة.

أما الألف، فإنها ليست حرفًا كغيرها، بل هي عمود الحروف وأصلها، فهي تخرج من الجوف، بلا احتكاك ولا تضييق، كأنها امتداد للصوت الأول الذي انطلق في الوجود. والألف، إذ تخلو من الشدة والهمس، فإنها رمز للاستقامة والوضوح، فهي الحرف الذي لا ينحني، ولا يلتوي، وكأنها تمثل جوهر الحقيقة التي لا تقبل الاعوجاج.

ومن تأمل في الحروف وجد أن الألف تتوسطها، وكأنها العمود الذي يحمل البناء كله، فهي في "أصل" و"أمان" و"أنوار"، وكلها تشير إلى بدايات النور والاستقرار والثبات. ولذلك، فإن الألف عند العارفين هي السر الأعظم، فهي الحرف الذي يبدأ به الاسم الأعظم، وهي الخط المستقيم الذي يربط الأرض بالسماء، وهي الحقيقة التي تنكشف لمن سار في مدارج المعرفة.

وأما التنوين، فإنه ليس بحرف مستقل، لكنه صفة تلحق الحرف، كأنها تذكرنا بأن للأصوات طبقات ومستويات، وأن المعاني لا تقف عند حد ظاهرها، بل تتعدى إلى ما وراء ذلك. والتنوين يشبه الهمس الذي يترك أثرًا خفيًا بعد النطق، كأنه تردد للصوت في أفق المعنى، فلا يكتفي بالكلمة بل يضيف إليها امتدادًا، كما أن الأرواح لا تفنى بل تستمر في مسارها.

وهكذا، أيها الطالب، رأيت كيف أن لكل حرف مخرجًا جسديًا، لكنه أيضًا يحمل سرًا باطنيًا يتصل بعالم المعاني والموجودات. فإن الحروف ليست مجرد أصوات، بل هي مفاتيح لأبواب الحكمة، وأسرار مبثوثة في الكون، فلا تهمل دراستها، ولا تظن أنها مجرد أدوات للنطق، بل تأمل فيها، فلعلّك تجد فيها إشارات إلى ما خفي عن الأبصار، وما لا يدركه إلا من تأمل بعين القلب والبصيرة.